# جولة في الارض المحروقة

سامي عبد الرحمن

# الأهداء

الى ذكرى اطفال كردستان الذين احرقتهم الاسلحة الكيميائية، والذين ماتوا تحت أنقاض الدور المهدمة على رؤوسهم، والذين سلموا الروح تحت التعذيب في سجون الفاشية.

هدى النعيمي كتب

# جولة ...
# في الأرض المحروقة

إستجابة لدعوة من الأخ جلال الطالباني الامين العام للاتحاد الوطني الكردستاني والمكتب السياسي للاتحاد ، قررنا التوجه نحو ياخسَمَرْ .

في عصر الثورة العلمية التكنولوجية المستمرة هذا ، عندما يزور المرء أرضا في بلاد العالم ثانية بعد مرور زهاء عشرين سنة، يجد مظاهر و موءشرات كثيرة او متواضعة للعمران و للتطور الاقتصادي و التقدم الاجتماعي. ولكن ماذا وجدنا نحن في بلادنا خلال هذه الجولة ؟ حيث كانت آخر رحلة لي في عمق هذه المناطق الريفية في خريف عام ١٩٦٩، اي قبل ١٨ سنة ، أو بعد مرور عام واحد على وصول الحزب العفلقي الى دست الحكم. وكانت تلك الايام أياما صعبة ايضا، حيث كان قدمرّ على بدء شن الحرب على

شعبنا ثماني سنوات ولكن رغم ذلك كانت القرى تتواصل و الريف عامرا والپيشمرگه يتجولون فيه باعداد كبيرة شامخين كاشجار الحور . المشاهدات والملاحظات المدونة في الصفحات التالية تشكل الجواب على السوءال الذي طرحته أعلاه : ماذا وجدنا في بلادنا خلال هذه الجولة ؟

كانت فرقتنا مكونة من الاخ ( الدكتور فؤاد معصوم ) والأخ ( وريا صالح ) و ( انا ) ، ومعنا مجموعة من الكوادر و الپيشمرگه من منتسبي الاتحاد ومن منتسبي حزبنا ، وكنا في الضيافة الكريمة للدكتور فؤاد اثناء الرحلة . انطلقنا يوم ٢٠/ايلول /١٩٨٧ من (گويزى) وهو مرعى صيفي في سفح جبل قنديل قرب الحدود الايرانية ، وكانت معنوياتنا جيدة حيث كنا قد أنهينا لتونا جولة ناجحة من المداولات حول الجبهة الكردستانية إشتركت فيها الاطراف المعنية . بدأت حركتنا وقت الظهر واستمرينا في الطريق الجبلي نزولا بصورة عامة ، وعندما وصلنا عقار قرية ( رزگه ) اسفل الجبل كان قد اظلم الليل . كان الطريق متعبا حقا حيث ان كثرة القوافل التجارية المستمرة والمكونة من البغال والاحصن المحملة ، قد ملأت الطريق بالحفر والاتربة بحيث ان الغبار كان قد علا وجوه ورؤوس كل المسافرين ، خلافا للمعتاد اثناء السفر في الطرق الجبلية . تناولنا عشاء بسيطا في (چايخانه) في اطراف

قرية رزگه ، وكان عددنا اكثر من ضعف البطانيات المتوفرة . ولكن كان المناخ ملائما وعادة يكون التعب شديدا في اول يوم طويل من السفر ، فانطرح كل واحد منا على الارض في مكان جلوسه تقريبا وانقطعت الاصوات عدا خرير الماء القادم من ساقية قريبة منا . استيقظنا قبل طلوع الشمس وسرنا نحو قرية (قَلاتوكان) ، فوجدت اننا محاطون بما يشبه قوس من قمم جبل قنديل العمودية الجميلة . سرنا في ارض متموجة ، وجدنا عددا من البيوت كلها مهدمة ومحاطة باراض محروقة ، ولكن اشجار البلوط العجوزة العنيدة كانت قد ابت على الحرائق المنطلقة من حمم المدافع وقنابل النبالم . لاسباب امنية لم نذهب الى اطراف قرية قلاتوكان المدمرة ولا الى مقر حزبنا او مقر الاتحاد ، بل ذهبنا الى واد قريب . ولما لم يكن لدينا ما نفعله وكان معظمنا يغالب النعاس توزعنا في ظلال اشجار الوادي بعد تناول الفطور. التحق بنا الصحفي التركي الكردي الاصل (مراد اوزدمر ) مراسل جريدة گونيش(الشمس) الذي كتب عدة مقالات عن جولته هذه .

حوالي الساعة الخامسة مساء تحركت قافلتنا وبحراسة مشددة حيث كان علينا ان نسير تلك الليلة كلها في اراض هي تحت سيطرة قوات العدو مع ما يترتب على ذلك من احتمالات .كان

الظلام دامسا. وكان من غير المسموح اضاءة المصابيح اليدوية ، في الحقيقة كل اضاءة كانت ممنوعة . ركبت على صهوة بغل قوي .صعدنا جبلا قليل الارتفاع و توجهت نحونا من مسافة بعيدة نسبيا نيران بنادق الجحوش وكانوا يستخدمون العتاد المذنب لذلك كنا نرى مسار الاطلاقات حتى سقوطها تقريبا . بعد الوصول الى القمة والمباشرة بالنزول لم نعد نرى نيران الجحوش ولكن كان المنحدر شديدا للغاية وحصويا ، وبالنظر لعدم امكانية استعمال المصباح اليدوي لم اكن استطع النزول من على ظهر البغل والسير على الاقدام. ولكن هذه المرة كما حدث لي مرات سابقة عديدة ،بجهد البغل الذي يرى جيدا في الظلام وبمهارة الرفيق الذي كان بيده المقود،وصلنا الى اسفل الجبل بسلام . مرة اخرى قلت في نفسي كم ان الاكراد يظلمون البغل بتحقيره وتشبيه الذين يتقاعسون عن تنفيذ واجباتهم به ، في حين نرى ان الشعر العربي ملىء بالمديح والثناء للجمل والناقة . واصلنا السير في اراضي منطقة (پشدر) ( قضاء قلعةدزه ) الخصبة والقليلة التموج ، ولاسباب امنية ساربنا دليلنا وسط مزارع كثيفة ، وقطعنا سواق لاتعد من المياه حتى كاد ينفذ صبرنا . لقد انهك الجميع واضطررت الى البقاء على صهوة البغل زهاء تسع ساعات . حوالي الساعة الثالثة صباحا وصلنا

قرية صندولان قرب الطريق العام ( رانيا - قلعة دزه ) . ذهبنا الى مسجد القرية النظيف والمرتب . وبعد استراحة قصيرة واصلنا السير وكنت اعلم ان مايزال امامنا قطع الطريق العام وكذلك نهر الزاب الاسفل الموازي له للعبور الى طرف جبل آسوس وبذلك نخرج من نطاق المنطقة التي تحت سيطرة قوات العدو. ولكن تم توفير جرار ( تراكتور ) وبسرعة نسبيا قطعنا الطريق العام والنهر دون ان تتبلل اقدامنا . الجرار هنا كان لايقل اهمية بالنسبة لنا من السفر بالطائرة من مدينة الى اخرى . في سفح جبل اسوس كل واحد من البيشمرگه سرق دقائق معدودات من النوم قبل انبلاج الفجر .

في الصباح الباكر من يوم ٢٢/ايلول بدانا بالصعود الى جبل آسوس الذي لايبدو شديد الارتفاع من بعيد . واصلنا السير في هذا الجبل القليل الاشجار والكثير الاحجار و الذي شعرت بنوع من الكآبة كلما سرت فيه ، حيث ان لاماء ولامجال لاستراحة مظللة في مسير يستغرق عدة ساعات حتى الوصول الى مرگه (مركز ناحية وتت السلم) عندما وصلنا الى القمة لاحت لنا بحيرة دوكان الجميلة على الجانب الايمن ، ولكن سرنا باتجاه الجنوب الشرقي فغابت البحيرة عن الانظار بسرعة . وبدأنا نسير في اراض محروقة بصورة متواصلة

احيانا و بصورة متقطعة احيانا اخرى بالرغم من عدم وجود اية قرية هناك .ولاحظت الاجهاد على ملامح الجميع وكنت اشعر بالاجهاد ايضا وانا اسير على الاقدام نزولا من الجبل ،وهنا لاح لى الصحفي ( مراد اوزدمير) والاجهاد يطغى على وجهه ولكنه يواصل السير مثلنا على الاقدام . التقينا بعائلة في حالة رحيل ، الرجل على ظهر بغل ويحمل بين يديه طفل كبير مريض ، وطفلان آخران موضوعان في الخرج الذي على ظهر نفس الحيوان . الزوجة تسير على الاقدام و تحمل بعض الحاجات وكثيرا من الهموم. وصلنا الى مركه وقت الظهر وكانت مهجورة لايوجد فيها الا بعض عوائل البيشمركه ، وهي تقصف بين آونة واخرى ، وفعلا قصفت مرة اخرى بعد يومين من مرورنا فيها وادي ذلك الى استشهاد امراة وعدة اطفال . انتقلنا الى احد البيوت ولشدة الاجهاد نمت نوما عميقا قبل تناول الغذاء. ولما استيقظت كان الدكتور فؤاد قد رحل الى ياخُسَمَرْ حيث ان مام جلال على عادته يريد ان يعرف الاخبار بسرعة ، ولكن كان هناك الاخ الملازم عمر عبد الله (اقرانه في الجيش برتبة عميد الان) وهو المسؤول العسكري للاتحاد وكذلك كان متواجدا الاخ نَبَزْ وعدد من الاخوة الاخرين. جلست فترة وجيزة مع الكاتب ( محمد حمه

باقي) بامل اللقاء ثانية ولكنه لم يتم مع الاسف . انتقلنا الى سيارة الملازم عمر وسرنا باتجاه قرية سيروان . الارض على جانبي الطريق محروقة ، هدير الطائرات كان شبه مستمر وصلنا الى سيروان ، آثار القصف الجوي في كل مكان و القرية محاطة بالارض المحروقة من كل اتجاه .وقد كانت سيروان من ضمن القرى التي كانت مسرحا لاول ضربة بالقنابل الكيميائية من قبل النظام الفاشي الدموي في (١٥) نيسان الماضي وجدير بالذكر ان هذه الاسلحة الفتاكة محرمة دوليا بموجب بروتوكول جنيف لعام ( ١٩٢٥) ، ولكن اشجار كثيرة كانت باقية متحدية حرائق العفالقة العنصريين . هنا جاء الاخ ( مصطفى چاوره ش) ، سألته عن حال اخيه طاهر الذي احترق معظم جلده بالقنابل الفسفورية عام (١٩٧٤) والذي اشرفت على علاجه في الخارج بعد النكسة . ولكن اين مصطفى چاوره ش المناضل المعروف الان ؟ انه يتعالج في لندن من سم الثاليوم الذي دسه له ولمناضلين آخرين عملاء النظام الاجرامي عبر دسيسة محبوكة ادت كذلك الى استشهاد ام مصطفى. بقينا في ضيافة كاك عمر اللطيفة مدة ( ٢٤ ) ساعة واستحسنت كثيرا وجود عائلته بجنبه في هذه الاوقات الصعبة .

بعد ظهر الاربعاء (٢٣/ايلول) سرنا بالسيارة ومعنا كاك عمر عبر طريق انجزه

(اوك) الى ياخسمر وكنت قد سرت آخر مرة في هذه المنطقة عام (١٩٦٩) حيث كان المسير يستغرق حوالى عشر ساعات عبر واد جاف يسمى بدولي ياخيان ( وادي العصاة ) . ان هذه المنطقة الكائنة بين جبل آسوس ( مرگه ) وجبل سورداش (قرية كلو) غريبة جدا في شحة مياهها وجفافها على عكس قرى جبل سورداش الغزيرة المياه . شاهدنا في الطريق عائلة كاملة محشورة مع اثاثها في نهاية سيارة صغيرة . استغرق الطريق حوالي ثلاث ساعات و نصف الساعة ، الاراضي محروقة على جانبي الطريق بكثرة . وصلنا الى ياخسمر مساءً فكان (مام جلال) قد خرج من مقره لاستقبالنا ، تبادلنا التحايا على طريقة البيشمرگه ) الدافئة ، وبتنا ليلتنا في مضيفه . استيقظت صباح الخميس (٢٤/ايلول) واستطلعت المكان من حولي ، كانت بيوت عديدة من قرية ياخسمر مهدمة بسبب القصف، والدور الاخرى مهجورة ، ومساحات واسعة من عقار القرية محروقة ، فكانت هناك اراض محروقة حديثا جدا واخرى محروقة في اوقات مختلفة ولكن ارادة الحياة اقوى من كل الطغاة حيث كان ما تزال هناك اشجار مثمرة تحمل فاكهة ناضجة وخاصة الكمثرة . التحق بنا الرفيق ( بروسكا نوري شاويس) الذي قدم من قرداغ ، وكانت آثار لدغة الثعبان على قدمه واضحة حيث كان لايزال هناك ورم كبير في ساقه .

بقينا زهاء اسبوع في باخسمر استضافنا خلالها اعضاء المكتب السياسي للاتحاد، الاخوة انوشيروان وفؤاد معصوم وفريدون عبدالقادر في بيوتهم القريبة . قمنا بزيارة المستشفى الميداني والمطبعة والاذاعة وغير ذلك من المنشآت وكان واضحا انّ الدكتور شفان ورفاقه يعملون بهمة عالية وربما تسببوا في انقاذ حياة العديد من المواطنين. حري ببعض الاطباء الاكراد المقيمين في اوروبا ، وعددهم كبير ، ان يقتدوا بشفان ورفاقه ويعودوا الى الوطن لخدمة ابناء شعبهم ولو لفترة من الزمن في هذه الثورة الطويلة الامد. كان نظام الاتصالات بين المكتب السياسي ومختلف المناطق على افضل ما يكون.

كانت آثار سياسة الارض المحروقة والحرب الكيميائية شاخصة في كل بقعة ذهبنا اليها وليس فقط في باخسمر ،ولم ينقطع هدير الطائرات من الصباح وحتى المساء، ولكن رغم ذلك كان جو النكات وتناقل النوادر الامر الذي تشتهر به السليمانية يطغى اثناء الجلسات واللقاءات وتناول الوجبات. عقدنا اجتماعات عديدة منفردة ومجتمعة مع الامين العام والمكتب السياسي للاتحاد ،وصدر بلاغ مشترك عن الاجتماعات التي تمت خلال هذه الزيارة ، ارى مناسبا ان اسجل بعض المقتطفات منه هنا .

(وتم التاكيد على اهمية المصالحة الوطنية

والجبهة الكردستانية .... وابديا (الطرفان) التفاؤل ازاءها و مسيرتها المستقبلية واشير الى الاهمية التعبوية لشعار حق تقرير المصير على اساس الاتحاد الاختياري. وتم التاكيد على اهمية مواصلة العمل .... لاتمام بناء الجبهة ومؤسساتها .... لتقود نضال شعبنا على كافة الاصعدة .... واشار الاجتماع الى امكانية وضرورة ان تكون الجبهة الكردستانية منطلقاً واساساً صلداً للجبهة العراقية الشاملة .... بحيث تكون بديلاً حقيقياً عن الدكتاتورية الفاشية وقادراً على استنهاض الجماهير الشعبية في كافة ارجاء العراق ).

ما الذي استرعى انتباهي واهتمامي اكثر من اي امر آخر في مقر قيادة الاتحاد الوطني الكردستاني ؟

رأينا اشياء مهمة كثيرة تستحق التقدير، ولكن اهمها بمالايقاس هو تواجد اعضاء المكتب السياسي وبالتالي باقي المسؤولين مع عوائلهم وسط ساحة المعركة، وتعرضهم مثل باقي البيشمركه وافراد الشعب الى رشقات قنابل المدفعية وغارات الطائرات وقنابلها النبالمية والعنقودية والكيميائية، والنموذج الدائم امام الجميع هي السيدة ( هيرو ) زوجة مام جلال واللذان استقبلانا عدة مرات في منزلهما المرتب دون بهرجة والذي يحتوي على مكتبة عامرة تحتوي على العديد من الكتب النادرة ولم

تهمل هذه السيدة المناضلة حتى حديقة الورد الزاهرة الكائنة أمام الدار رغم ظروف الحرب القاسية . وكانت آخر هجمة بالأسلحة الكيميائية على ياخسمَرُ قد حدثت في اوائل ايلول. انّ مستلزمات حياة مناسبة وملاجئ منيعة وملابس واقنعة واقية من غازات الخردل والديفوسيجين السامة قد تم توفيرها في هذه الاماكن، وهي ضرورية لكي لاتصبح القيادة ضحية سهلة للعدو الغادر الذي يلاحق رموز المعارضة في كل مكان وبأخس الاساليب .

في يوم (٣٠/ايلول) قمنا بزيارة لمقر حزبنا الكائن في عرائش (كَپُرات) خارج هَلَدنُ، هذه القرية المهجورة التي تعرضت للقصف الجوي عشرات المرات منذ إندلاع الثورة عام (١٩٦١)، وضربت مثل قرى سيروان و بَرُكَلو بالقنابل الكيميائية في ١٥ نيسان الماضي . هجرت هَلَدنُ ولكن قوات العدو لم تصلها فبقيت بيوتها قائمة ولكن غطتها طبقة من الغبار، وفعل الأهمال فعله فيها فبدت وكأنها أرملة عجوز أثقل الدهر كاهلها .

تركنا ياخسمر صبيحة يوم الجمعة ٢/ تشرين الأول مودعيّن من مام جلال وباقي الأخوة بدفء مضاعف وقد توطدت العلاقات بيننا جميعاً على المستوى السياسي والشخصي ، على ما اعتقد. لقد مرت هذه الأيام بسرعة الساعات ان صحّ التعبير ، قلت مع نفسي كم ضروري الاكثار من

هذه اللقاءات وتبادل الزيارات بين الاحزاب ليس فقط على مستوى القيادات وانمّا على شتى المستويات عندما تحركت السيارة التي حملتنا نحو قرية ( سَرُگَلو ) ونحن سائرون باتجاه العودة .

سارت بنا السيارة في طريق ترابي عبر هلدن ، وصلنا سَرُگَلو القرية التي اقمت فيها اكثر من شهرين والتي كان عدد دورها يزيد على (٣٠٠) داراً عام (١٩٦٩) ، بعض بيوت القرية مهدمة ومعظم الباقي مهجورة والارض المحروقة تحيط بكرومها التي تغطي سفوحاً واسعة من جبل سورداشُ ، لقد أثار دهشتي اذوجدت مساحة الارض المزروعة بالكروم سواء في سَرُگَلو اوهَلَدنُ قد توسعت بالمقارنة مع ماكانت عليه آخر مرة رأيتها رغم ان هذه المنطقة كانت مسرحاً للقتال بين البيشمركه والقوات الفاشية بصورة شبه مستمرة ، وهو ان دّل على شيء فأنما يدل على اصرار شعبنا على التمسك بأرضه واستعداده للعمل في اقسى الظروف . كان الاهالي يتحسرون على طريق للسيارات لنقل اعنابهم وهو انتاجهم الرئيسي . الآن طريق السيارات قد انجز عبر جبل دابان الى قرية شَدَلَه ولكن الكروم اصبحت بدون اصحاب . وصلنا بعد الظهر الى عقار قرية قزَلَرُ التي قد بقي فيها بعض العوائل . بتنا ليلتنا هناك ، وفي صباح اليوم التالي واصلنا مسيرتنا الى اسفل جبل

پيرَمَگرونْ قاطعين الوادي الطويل الذي يعيش فيه مئات من العوائل ولكن ليس في قرى اوتجمعات وانما بصورة متفرقة تحت الصخور والكبرات ، هكذا اصبح شعبنا مشرداً . استقبلتنا سيدة واطفالها في كپرة ، ووفروا لنا الشاي والطعام بسرعة وخفة ،ورحبت بنا ترحاباً حاراً وكأنها تعيش في قصر منيف وعبرّت عن سرورها البالغ بوحدة الصفوف الكردية ، اثناء ذلك هدرت طائرتان من فوق رؤوسنا ، فاجبتها اذا لم يكن هناك اي شاع ، والدواعي كثيرة ، فهذا القصف الجنوني الذي لايّميز ، وحده كفاف ليدفع الجميع نحو الوحدة . كنت قد عشت في هذه المناطق عام (١٩٦٣) وكذلك عام (١٩٦٩) ولكن لاسباب مختلفة لم اضطر الى صعود جبل پيرَمَگرون، والذي يعلو شامخاً ليس فقط على السهول الواقعة في جنوب غربه بل وكذلك على الجبال الكائنة شماله وشمال شرقه . بدأنا بالصعود الى قمة پيرَمَگرون، كان الانحدار شديداً، وبصورة عامة الطريق الجبلي مغطاة بالحصى او الحجارة الامر الذي يجعل المسار وعراً. واصلنا السير وكنت معظم الوقت راكباً على صهوة بغل يتصبب عرقاً من الجهد الذي يبذله . مرت الطائرات من فوق رؤوسنا ثانية وثالثة ، حتى هنا كانت الارض المحروقة شاخصة . كانت قد جرت معركة كبيرة في الربيع الماضي تم فيها دحر القوات الفاشية ،

وقد استبسلت احدى مفارزنا التي شاركت الى جانب قوات (اوك) فيها. قمة الجبل كانت ضيقة ولكن أطلينا منها على سفوح ووديان وسهول وقرى كثيرة. إستغرق صعودنا زهاء ثلاث ساعات. بعد إستراحة قصيرة باشرنا بالنزول من الجبل سيراً على الاقدام. واصلنا مسيرتنا حتى نبع ماء واشجار ذي ظلال كثيفة في مشارف قرية زيوه پيرَمَگرون. هناك قرى كثيرة باسم زيوه في كردستان. قدمّ لنا مرافقنا الاخ كمال، الذي جاء معنا من ياخسَمَرْ طعام الغداء، وبعد إستراحة قصيرة واصلنا السير لاننا كنا نعلم ان امامنا مسير طويل آخر هذا اليوم. وصلنا الى زيوه التي يلفها جبل بيرمكرون لفاً شبه كامل، وكانت قرية كبيرة وبيوتها تشكل صفوفاً متدرجة مثل الكثير من القرى السفحية مهيئة منظراً جميلاً جاهزا للصور الفوتوغرافية. تناولنا اطراف الحديث مع بعض الذين التقينا بهم هناك من المعارف القدامى منتظرين اقتراب الغروب لكي نتحرك. حوالي الساعة الخامسة تركنا زيوه الجميلة المهجورة مستأنفين المسيرة بالسيارات. عندما خرجنا من الوادي الكائن في احشاء الجبل الذي كان ملائماً كمهد لاقدم الحضارات، وصلنا منطقة سهلية قليلة التموج مليئة بالقرى ذات البساتين الواسعة التي تدل على ذلك سعة الرقعة الخضراء لكل منها. مررنا بالقرب منها ولكن

جميعها دون استثناء مهدمة وقد هجّر اهلها قسرا ومعظمها خلال العملية الاخيرة . وقفت السيارة بطلب مني امام احداها وهي قرية ( گرده بۆر) القريبة من طريق دوكان - السليمانية والتي لاتبعد عن هذه المدينة اكثر من ثلاثين كيلومتراً ، عدد البيوت يزيد على المائة ، كلها دون استثناء مهدمة تهديماً كاملا ، امّا المدرسة الكبيرة في القرية فكان سطحها قد انطبق على الارض تماماً الامر الذي يدل على انها فجرت بالديناميت، اما بساتين القرية التي تغطي مساحة واسعة فكان الجفاف قد دبّ فيها في حين ان مياه النبع الكبير كانت تدفق غاضبة و تسير هدراً . لاغرابة ان بلغ سعر كيلو التفاح في بغداد ثمانية دنانير ، ربما اغلى من أي مكان آخر في العالم .

عبرنا طريق دوكان - السليمانية الذي يقع تحت سيطرة قوات النظام الفاشي قبيل الغروب ، في الحقيقة في وضح النهار، واكبنا السير في اراض كانت فيها ربايا الجحوش على مسافات غير بعيدة منا . تناولنا العشاء وقضينا استراحة قصيرة في قرية ( ترمارخوارو) التي تراءى لي فيها بضعة بيوت شبه آهلة ، واصلنا السير الى قرية ( قزاو) المهجورة وانتظرنا عدة ساعات في غرفة مغبرة ، تطغو عليها الهجران ، حتى تم توفير وسائط النقل . حوالي

هەولێر کتێبخانەی

الساعة الواحدة صباحاً استأنفنا الحركة في سيارات لاندكروزر عبر طرق ترابية بالكاد تكون مفتوحة ، وتمر في اراض وعرة حقاً . كان اسفل السيارة يضرب الصخور دون هوادة ولكن المسيرة استمرت حتى وصلنا قرية گوپتَپه الواقعة على الزاب الاسفل في محافظة كركوك وذلك في الساعة الخامسة من صباح الاحد ٤/ تشرين الاول . كان في القرية مشروع زراعي إروائي كبير ولكن اجبر اصحابه على تركه . لاحظت مساحة الارض المزروعة بالخضار وغزارة الانتاج ايقنت ان بامكان هذه القرية وحدها مد آلاف الناس بالخضار والفواكهة تناولنا الفطور بعد استراحة قصيرة وانتظرنا احضار السيارات وشعرت في نفسي بقلق حقيقي لان هذه الارض مفتوحة ومكشوفة وبامكان اية قوة الوصول اليها بالهليكوبترات خلال دقائق ولايوجد اي مجال للانسحاب حيث انّ ظهرنا الى النهر، وانا المسؤول الاول عن اي مكروه يصيب فرقتنا . مرت الساعات الاربع التي قضيناها هناك بسلام . استأنفنا مسيرتنا حوالي التاسعة صباحا ، وصلنا الى جسر رشيق شبه (معلق) يكفي لمسيرة شخص او شخصين في آن واحد. قطعنا الجسر الذي طوله (٧٦) متراً على الزاب الاسفل ركضا بعد ان تاملت مياه النهر ذات اللون الفيروزي الجذاب . وصلنا الى قرية كاني سپي في سهل كويسنجق حيث استقبَلَنا استقبالا حاراً

سَرْتيپ ( قائد فرقة من البيشمرگه ) من اوك . كاني سپي كانت ضيعة عامرة زرع اهلها مساحة واسعة بالخضار والاشجار معتمدين على امكانا - تهم الذاتية في نصب المضخات التي تسحب الماء من النهر . ولكن الضيعة كانت مهجورة الا من بيتين او ثلاثة . واصلنا السير بعد الظهر الى قريتي ساتوقَلا ومَلا زياد المهجرتين والكائنتين قرب الطريق العسكري المزفت بين كويسنجق و طقطق. انتظرنا وسط ترحاب البيشمرگه حتى نزول الظلام . كانت المناظر رائعة ساحرة وقت الاصيل كما تتراءى لي دوماً وقت الاصيل عندما تكون السماء صافية في كردستان . خرجنا من طريق السيارات فركبنا الجرارات التي تاهت عمّا سمي بالطريق الذي كان يخلو من اية علامات تدل على كونه طريقا للآليات. عندما صعد الجرار الى مرتفع يسير فيه طريق ترابي جيد استقبلتنا عدة قذائف مدفعية لكننا واصلنا السير . استبدلنا الجرار بسيارة مرة اخرى وسار السائق بسرعة جنونية ، طلبت منه ان يخفف السرعة قائلاً : من الافضل ان نقتل بقذائف مدفعية من انقلاب السيارة ، ولكن اشك اذا كان قد اشتبه الى ماقلته . وصلنا في ساعة متأخرة من الليل الى قرية شيطان على الزاب الاسفل في سهل اربيل ، فاتني ان اسأل لماذا سميت هذه القرية ذات الموقع الجميل بهذا الاسم المشؤوم . استقبلنا سَرْتيپ (ر) ومسؤول آخر يعرفني من

ثورة ايلول (ج) . اعرف هذه المنطقة جيدا فقد تجولت فيها عدة مرات خلال ثورة ايلول واعرف پيشمرگتها الشجعان وتقاليدها الثورية ودفء فلاحيها واحّن اليها كلما تذكرتها . القرية كانت مهجورة كسواها ، ومزارعها مروية من مياه الزاب الاسفل الفيروزية ، سرت على ضفة النهر لبعض الوقت في الصباح اردت تقبيل الارض ولكن كتمت مشاعري. تلمست الطيبة والخصائل الثورية التي اعرفها في اهل سهل اربيل في مضيفينا ، حتى الخبز هنا شعرت انه ذو نكهة لذيذة خاصة . تبادلنا الاحاديث لعدة ساعات حول مختلف الامور وخاصة الجبهة الكردستانية ، وقد وجدت هنا كما في الاغلبية الساحقة من محطات مكوثنا حرصا شديدا على الجبهة واهمية اتمامها ، فنادرا ماجلسنا في مقر او منزل الاّ وسألونا عن الجبهة وكيف هي الان ، والى اين وصلت ومتى ستنجز؟ وكنا في اجوبتنا نضاعف التاكيد على اهميتها وعلى المكاسب الكبيرة التي تحققت حتى الان نتيجة للمصالحة الوطنية والجبهة ، ونبيّن تفاؤلنا بمستقبلها .

حوالي الساعة الواحدة و النصف بعد الظهر تحركنا بالسيارة تاركين القرية وكانت في نفسي رغبة للبقاء مدة اطول ، ولكن كان الوقت قد ادركنا ، سرنا في أراض متموجة ، قطعنا ( الشلفَة ) (مجرى ماء كبير في الربيع ويجف

صيفاً )توقفت السيارة عدة مرات لوعورة الطريق الذي كانت تسير فيه ،وصلنا حوالي الساعة الثامنة الى اكواخ قليلة بناها الرعاة بصورة متفرقة لتتجنب القصف الجوي ، في عقار قرية كاني بَرَدْ توزعنا على الاكواخ الفقيرة جلب لنا اهل الدار الخبز واللبن ، كان واضحا انّ الغذاء قليل وهناك صعوبة كبيرة للحصول عليه بسبب اجراءات الحصار الاقتصادي المتشددة ، شعرت بالخجل في نفسي واكتفيت بقليل من الطعام والتزمت الصمت .كنا قد وصلنا الى هذا الكوخ في وقت واحد تقريبا مع (حاج) من اهل المنطقة ، تساءل عن هويتنا الحزبية بلهجة فيها شيء من العصبية ،اجاب احد الاخوان (پارتی گەلین) حزب الشعب، فردّ الحاج متذمراً كيف سيكون حالنا مع كل هذه الاحزاب ،وواصل تذمره من كون انّ پيشمركه احد الاحزاب قد قاموا بعملية عسكرية قرب مضاربهم الامر الذي سيجلب لهم مزيدا من غضب القوات الفاشية وحممها القاتلة .

واصلنا مسيرتنا الى قرية گوّمَتال، وهناك استبدلنا السيارة بالجرار الذي صعد في الطريق عبر جبل باواجي المشرف على قصبة كويسنجق، هذا الطريق لم يكن موجودا آخر مرة مررت من هنا قبل (١٨) سنة وماكنت اتصور انّه سيصبح سالكاً للاليات في يوم ما، ولكن پيشمركه هذه المناطق لايعرفون التجول على الاقدام تقريبا

فيفتحون الطرق في كل مكان. قطعنا جبل باواجي ونزلنا من الجرار عدة مرات لوعورة الطريق وخطورته . مررنا بوادي اصحابان ( يظن الناس ان هناك عدة قبور للفاتحين المسلمين من اصحاب الرسول (ص) في هذا الوادي وسواء اكان الامر حقيقية ام اسطورة فقد حوفظ على هذه القبور بعناية كبيرة . وصعدنا جبل بنه باوى حتى ادركنا قرية سوسێ بعد منتصف الليل ونحن منهكين. ذهبنا الى مقر الپيشمركه الكائن في بناية حكومية سابقة ، كان الجميع نياماً ماعدا الحراس الذين هيئوا لنا غرفة وبعض البطانيات . نمنا كل شخصين ببطانية واحدة . في الصباح (٦/تشرين الاول) جاء سَرْتيب (ش) الى المقر وطفح السرور على وجهه بلقائنا ، واعتذر عن غيابه في الليل . واخذ هو ومسؤولون آخرون يتحدثون باسهاب عن معركة سفينْ الكبيرة التي حدثت اثناء اجتماعات الجبهة الكردستانية خلال الاسبوع الثاني من ايلول . ركبنا السيارة وسرنا نحو جبل سَفينَ الذي تحررت اجزاء منه خلال تلك المعركة . الطرق المزفتة هنا كثيرة فلأوّل مرة رأيت الطريق العسكري بين شقلاوة وهيزوپ بعد تبليطه ولكن حتى الطرق التي تنشأ لأغراض عسكرية لاتخلو من فوائد للسكان . ولكن المريع ان هذه المنطقة السياحية الشهيرة كانت محروقة اكثر من اي مكان آخر شاهدناه . صعدت بنا السيارة الى جبل سفينَ ( القسم

الجنوبي الشرقي منه ) وصلنا الى منطقة رأيت فيها كمية من عتاد الدبابات ، قال لي احد البيشمركه الأدلاء ، ان هذه بقية من كميات كبيرة من قنابل الدبابات نقلت الى المخازن صعدنا الى ارتفاعات اخرى حتى اشرفنا على قرية آقوبان الواقعة على مسافة (١٥) كيلو - متراً تقريبا جنوب شرق شقلاوة . نزلنا من الجبل من منحدر باتجاه قرية آقوبان كانت هذه القرية السياحية مهجّرة وبيوتها مدمّرة ، ومدرستها مطبوقة بالارض وبساتينها المتروكة تثير الاشفاق . سرنا في الطريق المزفت بمحاذاة سفين الكبير الذي ينتهي سفح منه في شقلاوة وآخر في صلاح الدين وثالث في هيران مركز ناحية خوشناو وهو على مسافة اربعين كيلو متراً تقريبا من مدينة اربيل . وصلنا هيران والتي كانت جُنَيْنَة بمعنى الكلمة ، الاشجار المعمرة الباسقة وسط الشوارع، بيوتها متناسقة ومتدرجة ، البساتين والمنازل متداخلة ، ولكن هيران كانت قدهجرت ايضاً خلال واثر المعركة الاخيرة فقد عدّد الصداميون بضربها وكل من يبقى فيها بالاسلحة الكيميائية . كانت السيارات تنقل اثاث البيوت الى خارج القصبة . تجمع اناس في اركان الشارع الرئيسي والحزن والكآبة تتقطر من وجوههم . قدم الينا بعض المعارف القدامى من اهالي هيران الذين كانوا في ترحال مع ذلك اصرّوا على دعوتنا الى

هدى النعيمي كتب

بستانهم وجلبوا الرمان والجوز والعنب والتين للپيشمرگه ،تبادلنا الاحاديث عن اشياء واصدقاء مشتركين . كنت فرحا بالانتصارالكبير الذي حققته پێشمرگه (اوك) في المعركة الاخيرة على العدو الفاشي العنصري ، ولكن الانقباض لازَمَني عندما رأيت هيران واهلها في هذه الاوضاع . ودّعنا بعد الظهر ، سَفينْ هذا المتمرد العريق والصديق القديم الذي حدثت (اول) مَعارك ثورة ايلول بالقرب منه ، والذي قلّما خلا من البيشمرگه ، وقد وقعت ، على الاقل ، معركة ضخمة في سَفينْ ، خلال كل مرحلة من مراحل الثورة الوطنية الكردية . هذا الجبل العظيم زرته اول مرة سائحا عام (١٩٥٩) ، وزرته ثانية عام (١٩٦٧) لنقل الاسلحة وثالثة عام (١٩٦٩) لترتيب معركة ضرب المنشآت النفطية ، وبعد (١١/آذار /١٩٧٠) زرته مراراً بُغية زرع الفاكهة ورعايتها وبناء الفنادق السياحية في شقلاوته وصلاح الدينه و سريرشه والمدارس والمستشفيات في هيرانه وقراه . اوصلتنا السيارة الى قرية سيَدكان المهجّرة ، بعد توفير البغال سرنا عبر الطريق الذي كان يمّر ببساتين القرية المتروكة ، صعدنا بصورة تدريجية الى جبل هَوْرێ ثم نزلنا بصورة تدريجية ايضا نحو قرية چيـــــــــــوێ سَرو ، استغرقت الرحلة حوالي اربع ساعات ، دخلنا بيتا مهجورا وكانت هناك بيوت آهلة قليلة ، ذهبنا الى احد هذه

البيوت لتناول العشاء وخجلت في نفسي مرة اخرى اذ تلمست المصاعب التي يعانيها هؤلاء الكادحون لتوفير المواد الغذائية عبر الحصار الاقتصادي المحكم. جلبنا البطانيات ونمنا في البيت المهجور بعد تنظيفه قليلا ولكن الاتربة والغبار المتراكم من الهجران والاهمال لايزول بهذه السهولة. في الصباح حملنا البطانيات الى اهلها ، قال احد الپيشمرگه مازحا هذه البطانيات بمثابة بطاقة لتناول الفطور، دخلنا البيت معتذرين لكن اهله رحبوا بنا ترحابا حارا قائلين :لاينقصكم شيء في بيوتكم، لقد جئتم هنا من اجل كردستان. استأنفنا مسيرتنا من قرية چيوێ العليا المهجّرة الى قرية چيوێ السفلى المهجّرة، ثم سِرنا الى وادي باليسان الفسيح والذي يمر وسطه طريق مُزفّت تزفيتا فنّيا يبدأ من خليفان ويتجه نحو بێتواته ورانيا. جوّلت نظري في الوادي عدة مرات حيث كانت قراه مسرحا لاول واكبر قصف كيميائي صدامي وذلك في (١٦ نيسان) الماضي. كانت القرى كبيرة وقريبة من بعضها البعض ومعدل مساحة بساتين كل واحدة منها تفوق مساحات بساتين القرى في اية منطقة اخرى شاهدتها حتى الآن. مياه العيون كانت غزيرة، تسويق الفواكه والعسل والتبوغ واخشاب الحور وغيرها كان سهلا لوجود الطريق الرئيسي ووصول الطرق الترابية الى كل قرية تقريبا ثم ان الوادي قريب من

شقلاوة وبالتالي من اربيل. فكرت انّه ربما يشكل هذا الوادي الاخضر احد افضل الوديان لزراعة حديثة في كردستان ولكن قرر نيرون العراق تحويله الى حقل تجارب من نوع آخر حيث ضرب اهاليه بقنابل غاز الخردل والديفوسجين السامة انتقاما من هذا الشعب الذي يرفض الاذعان للفاشية العنصرية ولاجباره على اخلاء قراه، وبذلك دخل التاريخ من اظلم ابوابه كأول نظام في العالم يستخدم هذه الاسلحة المحرمة دوليا ضد مواطنيه. وصلنا قرية باليسان، اردت الوقوف طويلا هناك، قلت لرفيقي بروسكا لقد رأيت البارزاني ثائراً لاول مرة في هذه القرية، فاستذكرت ذلك اليوم المشمس الجميل من اواخر نيسان او اوائل ايار من ذلك الربيع الممطر من عام (١٩٦٣) حيث كنت ملتحقا جديدا بالثورة. قالوا لي ربما أومن شبه المؤكد انّ البارزاني سيأتي الى هذه القرية اليوم. تجمع الناس هنا وهناك لمشاهدة الموكب، راعني اذ لاحظت الصبية وكل واحد منهم يحمل كيس كبير للتبغ في خاسرته، وهم يدخنون السفاير بتلذذ. قبيل الظهر بانت طلائع الموكب، مجاميع صغيرة من البيشمرگه البارزانيين من ذوي الكوفيات الحمراء وهم مدججون بالسلاح والعتاد ولايكاد ينطق احد منهم بكلمة حتى مع رفاقه، غاب بعضهم في اطراف القرية، وذهب آخرون منهم الى بيوت اظن انها كانت

محددة مسبقا. استمر مجيء البيشمرگه البارزانيين بصورة اكثر كثافة، ثم وصل قلب الموكب، وظهر البارزاني بهندامه المرتب والنظيف دون اناقة زائدة على صهوة حصان ابيض اذا لم تخن الذاكرة. كان الحصان يتدفق حيوية واما الفارس فلايمكن لاحد ان يتصور عمره اكثر من اربعين عاما. كان عدد من البارزانيين يسيرون امام وخلف وعلى جانبي البارزاني ولكن على مسافات غير قريبة منه بحيث لايشعر غير العارف بالامور بانهم يحرسونه فقد كان رحمه الله يكره المظاهر. نزل البارزاني في احد البيوت، جاء ابنه المرحوم لقمان للقائي في البيت الذي كنت فيه فسألني عن مهنتي فلما اجبته مهندس كهربائي قال لي سيحتاجونك في المكتب السياسي. عرفت انه كان يفكر في تشغيل اذاعة. كان ذلك اليوم يُعَيِّد مؤتمر كويسنجق، وكان البارزاني قد سجل اول انتصار كبير سياسي وعسكري على حكومة بغداد واجبر سلطة انقلاب ٨ شباط الاسود على التفاوض حول حقوق الشعب الكردي، ولكنه كان قد ادرك ايضا فشل المفاوضات مع العفالقة وحلفائهم في السلطة. فَتَوجّه نحو بارزان عبر هذه المنطقة حيث جرى احد فصول المعارك الاشدّ مراوة بين الطرفين في الصيف التالي.

تأملت في القرية السفحية الكبيرة الجميلة،

حتى اسمها (باليسان) الايصلح ان يكون عنوانا لقصة او قصيدة شعرية او قطعة موسيقية ؟ اين هم شعراؤنا وفنانونا؟ هل اجف توالي المآسي الدموع في مآقيهم والعطاء من قرائحهم؟ ام ان كثيرين منهم بعيدون عن مسرح الاحداث. باليسان خالية من اهلها كليا، قتلوا-اوجرحوا وشردوا بالغازات السامة. ولكن بيوتها قائمة. مقاومة البيشمرگه الباسلة منعت القوات الفاشية من الوصول الى هذا الوادي الفسيح. تذكرت مايقوله العلماء عن القنبلة النتروجينية تقتل الاحياء والحياة ولكن تبقى هياكل الابنية قائمة. واصلنا السير حتى وصلنا القرية التي يقع مقر حزبنا في اطرافها فاستقبلنا رفاقنا بحرارة وشوق حيث كنا سوية قبل حوالي شهرين في واد من وديان جبل قنديل.

في الصباح الباكر لليوم التالي ٨ تشرين الاول صعدت الى مكان مرتفع قليلا لالقاء نظرة استطلاعية على وادي باليسان، ومعي بعض الاخوة الذين يعرفون المنطقة، كان العديد من القرى التي كانت مسرحا للحرب الكيميائية في مرمى النظر منها، توتمه وبالوكاوى وفي اليوم السابق شاهدت كاني بَرْد وشيخ وسّان التي ابيدت عن بكرة ابيها (١٢١) شهيدا بمن فيهم طفلتان عمر كل واحدة منهن يوم واحد فسميتا كيميا وخردل و(٣٥٠) جريحا. وقد علمنا ان

الاهالي من القرى القريبة قاموا بنقل الجرحى بالجرارات والسيارات الى رانيا و اربيل ، وكان هم ازلام الفاشية انتزاع افادات مزورة من هؤلاء المنكوبين تفيد بانّ الطائرات التي قصفتهم ايرانية وليست عراقية وجعلت ذلك شرطا لادخالهم الى المستشفيات ، ومع ذلك قاموا بطردهم من المستشفيات بعد لأي. وتوفي بعضهم من الحروق والجروح التي اصابتهم بعد عذابات اليمة ، وتشوّه آخرون منهم .

تجوّلنا في بساتين القرية بعد الظهر كان التيبس قد دبّ فيها بسبب عدم الارواء والاهمال ولكن كانت لاتزال هناك فاكهة مثل العنب والتين والرمان .

انشغلنا بامور حزبنا الداخلية خلال الايام التالية وباستقبال بعض الزوار . ولكن الطائرات الحربية العراقية كانت زائرا كريها يوميا بما فيها طائرات البلانتوز التي لم اراها من قبل وكان البيشمرگه من كافة الاحزاب وبمختلف الاسلحة يوجّهون نيران اسلحتهم نحوها الامر الذي يضطرها للطيران في ارتفاعات عالية .

وفي الحادي عشر من تشرين الاول استأنفنا مسيرتنا عائدين . بدأت الحركة في الصباح الباكر من يوم الاحد بالسيارة حتى اسفل جبل ماكوك وقطعنا قسما من الجبل على ظهور البغال، ولكن ترجلت في القسم الاعلى منه لوعورة

الطريق . عندما نزلنا من قمة جبل ماكوك وسرنا مسافة في الاراضي المنحدرة لاحت لنا مضارب قرية مَلكان التي كانت مسرحاً آخر للحرب الكيميائية حيث اغارت الطائرات العراقية عشية عيد الفطر المبارك المصادف ٢٧/ ايار الماضي بالقنابل الكيميائية على (كپرات) القرية التي يقيمها الفلاحون خارجها لكي يكونوا قريبين من بساتينهم ومراعيهم، ومن ضمن ثماني عوائل اصيب (٣١) مواطناً منهم استشهد حوالي ثلثهم ومنهم الطفل الرضيع آرام الذي كانت امّه تنتظر ان يرسل للخارج للشفاء ولكنه توفي بمستشفى ارومية فشيعناه حتى مقبرة زيوه . وطفلة صغيرة اخرى شعرت امّها انها تحتضر فارادت ان تقبلها القبلة الاخيرة (في المستشفى) فادارت الام المصابة عينيها من اعلى راس الطفلة حتى قدميها لايجاد مكان غير محروق او نازف فلم تجد الاَبُقعة صغيرة من قدم طفلتها سالمة فوجهّت عاطفتها المحترقة الى تلك البقعة في قبلة تغمرها الدموع . وهذه قصة المناضل هاشم عبد الله وعائلته التي تجسد ماساة العوائل المضروبة بالاسلحة الكيميائية كما رواها في حينه لمندوب جريدة (گەل) حيث قال ( في الساعة السادسة صباحا على وجه التقريب ، وصلت مجموعة طائرات العفالقة الى وادي ملكان، وامطرت ينابيع المياه والعرائش والقرية بوابل

من القنابل الكيميائية .. وبذا فقد اختلطت مرة اخرى دماء الاطفال والنساء والشيوخ والشباب ببعضها وبمياه الثلوج الذائبة .. وهجرت الطيور اعشاشها على اشجار البساتين وفرت مذعورة . لم يكن صغارنا قد استيقظوا من نومهم بعد حين اغارت طائرات صدام عدو السلام والانسانية والذي لم تسلم حتى الحيوانات والاشجار من شروره ، ممطرة ايانا بالقنابل الكيميائية والعنقودية ، حيث انطلقت اصوات القنابل مثل دوي قذائف الـ( آر. بي. جي) ولف القرية دخان رمادي كثيف يميل الى السواد. وكل ما استطعنا فعله هو الركض صوب ينابيع المياه .. ولكن المواد الكيميائية كانت قد لوثتها هي الاخرى وتركت عليها رغوة كثيفة من المواد السامة . احمرت عيوننا وسالت منها الدموع الغزيرة ، وكنا نميز ماحولنا بصعوبة بالغة ، افواهنا كان يسيل منها زبد اخضر ، وجلودنا تحترق من شدة الحرارة ، كما واصبنا بدوار في رؤوسنا مصحوبا بصداع شديد حتى حيواناتنا التي كانت في المراعي اصيبت بالعمى ، وظلت طريقها ، ولم تستطيع الاهتداء الى القرية ومات معظمها .

اجسادنا كانت تحترق بشدة وتتقيح وتمتلىء بسموم صفراء ، ثم كانت تحمر ، وشيئاً فشيئاً تميل الى السواد .. الدنيا كانت تبدو حولنا صفراء . بعدها فقدنا السيطرة على

توازننا ، واصبحنا غير قادرين على عمل شيء.. اقرباؤنا كانوا في المراعي الجبلية ، وهؤلاء استطاعوا اللحاق بنا ونجدتنا بعد معرفتهم بالحادثة ..وأتوابنا مع جميع الجرحى والعوائل الى حيث يسكنون ، ومن هناك الى مدينة ارروميه التي وصلنا اليها بعد مسيرة دامت ستة ايام ،وسرنا على الاقدام وعلى ظهور الحيوانات وعبر طرق جبلية ملتوية ووعرة ، وتركنا شهداءنا هناك .. يستطرد المواطن هاشم عبدالله فيقول: ان والديّ مسنان ويبلغان من السن حوالي سبعين سنة ، اصيبا بجروح بليغة وتقيحات ، وكنت ارغب في الاتيان بهما الى هنا للمعالجة ، الا انّهما اصّرا على البقاء ، وفضلا الموت في القرية التي ولدا وكبرا فيها.. وقالالي: لانستطيع ركوب البغال ولانتمالك انفسنا عليها معمانحن عليه من العمر وثخن الجراح ، وخاصة في هذه الطرق الجبلية الوعرة ، فيالحقيقة كانا يعرفان انلا امل لهما في الشفاء. تركتهما ونظرت حولي فوجدت ابني سفين البالغ من العمر خمس سنوات قد استشهد .. تذكرت قوله قبل يومين: بابا .. ليسغدا لكن بعد غد سيحل العيد ، وسنقضيه في البساتين وسط هذه الورود والازاهير الحمراء التي احبها ، وسألعب مع اطفال قريتنا.. اليس كذلك يا ابي ؟ !!

دفنت سفين بيدي وصعدنا جبل آراسن، ولما

التفتنا الى قريتنا رأيناها خراباً يباباً وقد غطتها سحب الدخان تماماً. عندما وصلنا الى وادي (باليان) دفنت ولدي هندرين الذي كان في ربيعه الثاني في سفح الجبل، ثم دفنت ابنتي خيرية البالغة من العمر ستة اشهر في جبل قنديل. بقيت انا وزوجتي وطفل جريح آخرلنا، ونحن الان تحت المعالجة في ارومية، ومن المقرر ان يرسل قسم من جرحانا الى الخارج لانّه يخشى عليهم من الموت).

لقد وصل ثلاثة من ضحايا القصف الكيميائي من قرية ملكان الى مستشفى بفرنسا وعولجوا هناك وكانوا شهوداً احياء امام العالم على الجرائم الجماعية التي يقترفها نظام صدام بحق الاطفال والنساء والشيوخ والشباب. امّا المناضل هاشم عبدالله فقد التحق بصفوف البيشمركه وهو الآن يحمل السلاح ليثأر لسفين وخيرية وهندرين وملكان وكردستان.

واكبنا مسيرتنا حتى الظهر حيث جلسنا قرب عين ماء صافية في اسفل جبل كاروخ المهيب للاستراحة ولتناول الغداء. ثم بدأ الصعود حتى وصلنا الى سفح عال من كاروّخ والمشرف على قرية وَرْتىّ، حيث تتراءى للناظر قمم هَلْگورد وسكري سكران الشاهقة، ويكون المنظر كله خارطة معقدة من الجبال والوديان يصعب على اي جيش السيطرة عليها. وصلنا مضارب قرية وَرْتىّ المعروفة بمناعة موقعها من الناحية

العسكرية وهي قرية كبيرة فيها اكثر من ( ٤٠٠ ) دار وهي بصورة عامة منتشرة في البساتين بدلا من ان تكون متلاصقة مثل باقي القرى، وقد هدمت مدفعية الفاشية جانبا من القرية ولكن اهالي ورتئ رفضوا التهجير والتشريد بالاجماع وافشلوا عدة محاولات للسلطة في هذا المسعى. وبالرغم من ان الموسم كان متأخرا والجو قد اصبح باردا فقد كان اهالي ورتئ الشجعان حتى اواسط تشرين الاول لايزالون في المضارب اي في العرائش وبيوت الشعر والخيم المتفرقة تحت الصخور واشجار الجوز مفضلين ذلك على النزول الى القرية والتعرض للحمم المباشرة القادمة من المدافع والدبابات والطائرات ، مع ما يسبب البرد والرطوبة من امراض خاصة للاطفال والمسنين

اعرف ورتى فقد مررت عدة مرات قبل (١٩٧٠) بهذه القرية التي كانت معزولة تقريبا ، ولكن لاحظت تغيرا كبيرا هذه المرة في نظافة اهل القرية وكذلك نظافة مساكنهم رغم قساوة الحياة التي يعيشونها . رحلتنا التالية تمر في مناطق تحت سيطرة العدو لذلك استوجب ان يكون المسير ليلا. نزلنا قبيل الغروب (١٢ تشرين الاول) من مضارب ورتى وسرنا في طريق تجري فيه المياه وعلى جانبيه اشجار واحراش كثيفة وكان الظلام دامسا مما جعل السير متعبا لرفاقنا وهم يسيرون على الاقدام. بعد زهاء

ساعة اكدّ لنا ادلاّؤنا بان العبور غير ممكن هذه الليلة فاضطررنا الى المبيت وقضاء النهار التالي في بيت ( هـ . ) في ركن منعزل من قرية زيوه . كان هدير الطائرات واصوات انفجار قنابل المدفعية والدبابات من الامور الاعتيادية خلال هذين اليومين . حوالي الساعة الخامسة مساء استأنفنا مسيرتنا وبعد اقل من ساعة دخلنا الارض التي تحت سيطرة قوات العدو التي كانت مواقعها تنتشر على جانبي الوادي الذي سرنا في جانبه الايمن حيث ان الاضواء والنيران تدل على ذلك في الليل ، وكانت اطلاقات منفردة واخرى متسلسة تنطلق بين آونة واخرى ، ولكننا سرنا دون توقف حتى حوالي منتصف الليل حيث وصلنا عقار قرية بَرگردكان . تناولنا قليلا من الطعام الذي كان بمثابة العشاء ، وبعد استراحة وجيزة استأنفنا السير حيث كنا لازلنا وسط الارض التي تحت سيطرة القوات الفاشية . في الطريق الوعرة وفي الظلام الدامس ماكنت أكاد أرى شيئاً ولكن مرة اخرى البغل ومهارة مرافقي ساعداني على قطع المسيرة التي استغرقت حتى الصباح دون صعوبة تذكر . حوالي الساعة الثانية صباحا اصبحنا على مقربة من قرية ديلمان مسكن البارزاني مابين عامي (١٩٦٥ و ١٩٧٥) والمكان الذي زرته مرات عديدة وعقدت فيه اجتماعات

ولقاءات مهمة حضرت الكثير منها. فثارت فيّ مشاعر جمة ،منحنين الى تلك الايام من عز ثورتنا الى حزن عميق بسبب تحول تلك القلعة الثورية المنيعة الى معقل لقوات الاحتلال الفاشي العنصرية فتذكرت المثل الشعبي الكردي ( جهنّ شاهينا كوندا ليكر هيلينا ) مكان النسور عششت فيه الابوام . واصلنا السير دون توقف حتى انبلاج الفجر حيث وصلنا قرية زنكلى المهجورة بوادي باليان الذي تكثر فيه اشجار الجوز،دخلنا احد الدور التي فيها بعض الافرشة المتروكة ونمنا حوالي ساعة واحدة فقط،ثم استعدنا الصعود في الوادي حتى ظهر علينا سارنا من تحت الصخور اواني منزلية بلاستيكية وقطعنا من النايلون ملاذ الفقراء والكادحين في هذا الزمن ،فكان ذلك دلالة على تواجد عوائل واقترابنا من مقر البيشمرگه ، توقفنا حوالي الساعة السابعة صباحا في مقر ( تيب باليان) حيث كان الجو باردأنسبيا.تناولنا الفطور بسرعة وقررنا مواصلة السير بالرغم من عدم النوم في الليلة الماضية لانّ مشوارنا لذلك اليوم كان طويلا باشرنا بالصعود التدريجي الي جبل قنديل وكان علينا ان نقطعه بالكامل من الغرب الى الشرق، وهذه هي اول مرة اضطر فيها للقيام بذلك حيث كانت هناك طرق كثيرة واكثر يسرأوخارجة عن سيطرة قوات العدو ابّان ثورة ايلول .

استغرق الصعود التدريجي نسبيا زهاء الساعتين حتى وصلنا الى قمم جبل قنديل الفسيحة والترابية ،وكانت هناك ثلوج العام الماضي وربما تراكمات ثلوج السنوات التي سبقته ، وبجانبها او فوقها ثلوج العام الجديد البيضاء الناصعة والرقيقة . بعد الظهر اخذ مسارنا وجهة الانحدار ، وهنا شاهدنا كيفية تشكل الانهر في منابعها : الشمس القوية تذيب الثلوج المتواجدة على مدار السنة ، يشكل مجرى ماء ، سرعان مايلتقي مع مجرى واحد او اكثر مماثل منحدرة من منخفضات صغيرة قريبة مشكلين بذلك سوية مجرى اكبر . نزلنا مع هذا المجرى حتى التقى بمجرى ثاني وثالث مشكلين نهيراً والذي بدوره التقى بنهيرات اخرى حتى تشكل نهر على مسارنا يصعب عبوره والذي يشكل جزء مهماً من الزاب الاسفل . غابت الشمس وهطل الظلام دون ان نصل الى اي قرية او مقر للپيشمرگه او مكان آهل من اي نوع كان. الطريق غير آمن في الليل هنا وكان الاجهاد شديداً بالنسبة للجميع ، فقررنا المبيت في ارض الله الواسعة .جلسنا تحت شجرة جوز ، كائنة قرب عين ماء وبسرعة جمع الپيشمرگه الحطب واشعلوا نارا كبيرة . تناولنا العشاء من الطعام الذي كان قد جهزّهُ لنا الاخ ( هـ . ) امس للطريق . ابقى الحراس النار مشتعلة حتى الصباح حيث كان البرد قارساً . مع انبلاج

فجر (١٥) تشرين الاول استانفنا مسيرتنا ، وصلنا قبيل الظهر الى قرية باديناوه في سفح جبل قنديل الذي بدأنا منه وانتهت اليه جولتنا في الارض المحروقة . وقد ارتأيت كتابة مشاهداتي وملاحظاتي المباشرة هذه خلالها ووضعها امام القراء الان بدلا من تأجيلها للمذكرات مساهمة متواضعة اضافية مني في تسليط مزيد من الاضواء الكشافة على جرائم حرب الابادة العنصرية التي اقترفها النظام الصدامي العفلقي ويواصلها بوتائر متصاعدة دوماً بحق اهلنا وولدنا .

شباط ١٩٨٨

هەولێر کتێب

هەواڵنامەی کتێب

السعر دينار في الشرق الاوسط
ودينارات في بقية انحاء العالم
او مايعادلها

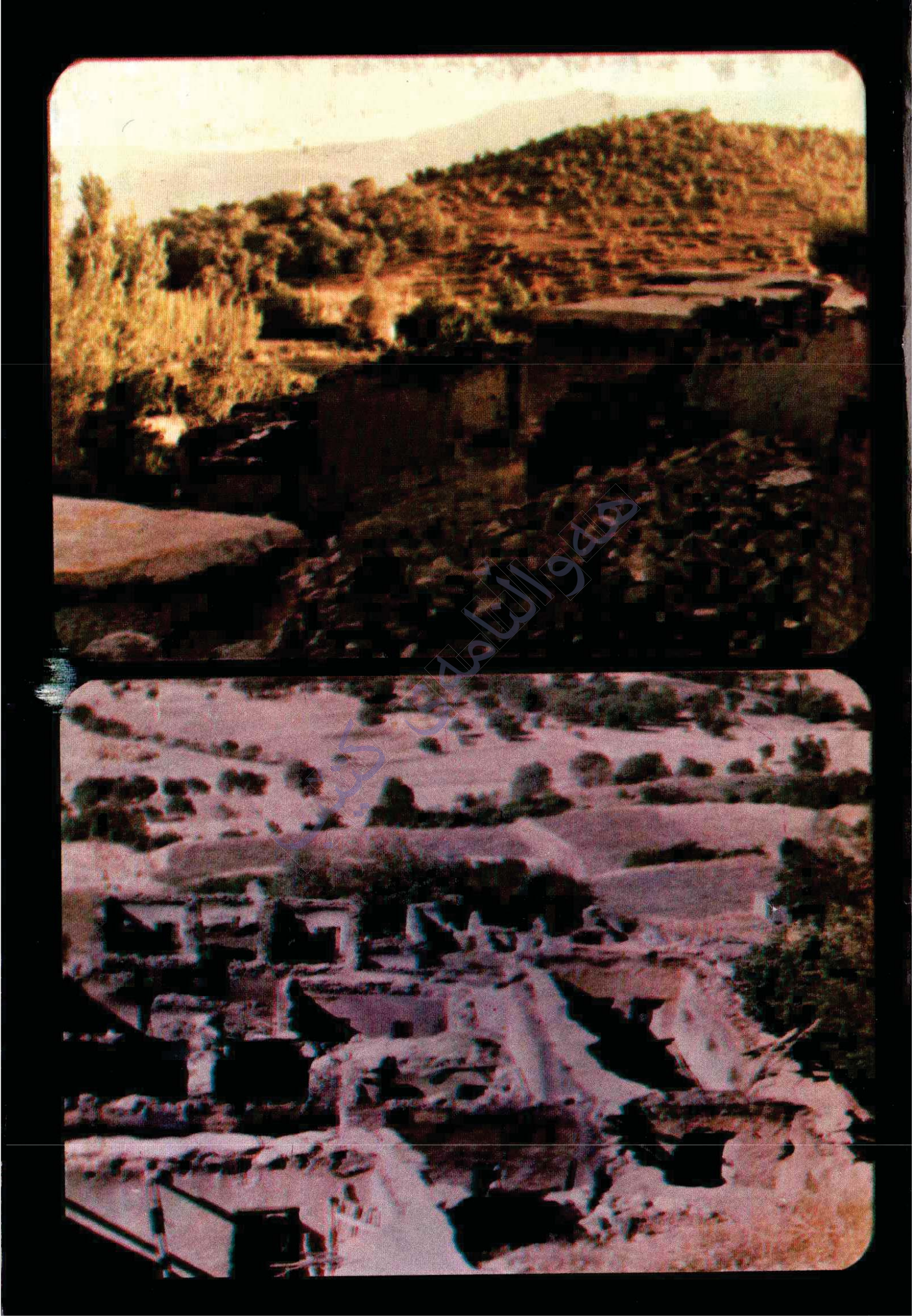

من منشورات حزب الشعب الديمقراطي الكردستاني

هەولێر کتێبخانەی گشتی